شرح كتاب الفتن من صحيح البخاري: الدرس الثامن

لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده. فهذا كتاب الفتن من صحيح البخاري

قال البخاري رحمه الله: **بَابٌ تَكُونُ فِتْنَةٌ القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ.**

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ قال: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَحَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((سَتَكُونُ فِتَنٌ، القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً، أَوْ مَعَاذًا، فَلْيَعُذْ بِهِ))

حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ قال: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قال: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((سَتَكُونُ فِتَنٌ، القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا، فَلْيَعُذْ بِهِ))

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد. أورد المؤلف هنا حديث : ستكون فتن والمراد بالفتن هنا الفتن العامة التي سبق الإشارة إليها وأن المراد بها الفتن التي تموج كموج البحر وليس هي الفتن الخاصة فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره ثم بين ﷺ أن الناس متفاوتون في القيام في هذه الفتن فمنهم القاعد ومنهم القائم ومنهم الماشي ومنهم الساعي وعند أحمد وأبي داوود : ((والنائم فيها خير من المضطجع)) فكل هؤلاء محل الذم لكنهم على درجات فمنهم حتى النائم إذا رضي بالفتن فإنه يتناوله الذَّمُّ وهكذا بَقِيَتهم فكل واحد منهم مضى في الفتنة لكنهم متفاوتون في هذا المُضِيّ ثم أرشد النبي ﷺ إلى المَخْرَجِ من هذه الفتن فقال: ((فَمَنْ وَجَدَ فيها مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا- وفي رواية أَوْ مُعَاذًا - فَلْيَعُذْ بِهِ)) وقبل ذلك قال: ((مَنْ استَشْرَفَ – يعني من انتصب لها فإنها تنتصب له وبناله شيئًا منها بقدر انتصابه ودخوله فيها- لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ،)) فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا، فَلْيَعُذْ بِهِ، وهذا أصلٌ في اعتزال الفتن وقد جاء في الحديث: ((إنَّ السعيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الفِتَنَ)) وجاء في اعتزال الفتن ما جاء عند أبي داوود أن النبي ﷺ قال: ((من سمع بالدَّجَّالِ فليناْ عنه)) يعني فليبتعد منه والدجال من الفتن؛ ولهذا فالأصل أن المسلم يبتعد عن الفتن والابتعاد أن لا يُوَاقِعها بأي وجه من الوجوه خاصةً في مثل هذا الزمن الذي قد لا تكون فيه مُوَاقَعَة الفتن بالبدن والمباشرة وإنما قد تكون مواقعة الفتن بالاطلاع عليها أو بِتَتَبُّعِها

والنظر فيها كما هو حاصل في أجهزة الاتصال والتواصل فإن هذه الأجهزة على ما فيها من فائدة ونفع وخير إلَّا أيضًا أن فيها شيئًا من الشر ومن ذلك ما فيها من الفتن التي تصرف الإنسان عن دينه ولهذا فاعتزالُ الفتن يشمل النظر ومطالعة والاطلاع على ما في هذه الوسائل من الفتن التي تصُدُّ الإنسان عن دينه واعتزال الفتن والشرور بل إن التعبير النبوي أبلغ من هذا كما جاء عند البخاري: ((يوشِكُ أن يَكونَ خيرُ مالِ المسلِمِ غنمًا يتبعُ بِها شَعَفَ الجبالِ وموا قعَ القطرِ)) وقد بوب البخاري على هذا باب الفرار من الفتن والأصل في الإنسان أن يعتزل مواطن الشرور وأهلها كما قال الله عز وجل: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ.... ﴾ [النساء:١٤٠] فالأصل أن المسلم يَهْجُر مواطن وأماكن الشرور والفتن وأهل الفتن سواءً كانت هذه الشرور والفتن مما يُسْمَع أو مما يُشاهَد وسواءً كانت مما يُقرَأ. المهم إن الإنسان يحرص على سلامة دينه والأصل أن هذه العُزْلَة كانت هي عمل الأنبياء والمرسلين كما قال الله عز وجل عن أهل الكهف: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ....﴾ [الكهف:١٦] وكما قال عن إبراهيم: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ....﴾ [مريم:٤٨] فاعتزال الكفر وأهله والمعاصي وأهلها هذا واجب على المسلم بكل حال. أما اعتزال الناس فهذا يُبْنى على أن يعرف الإنسان أن هناك من العبادات من هي مشروعة إما على سبيل الوجوب أو الاستحباب في الجماعة فهذه لا يسوغ للمسلم أن يتركها أو أن يعتزل الناس فيها فالجماعة والجمعة ونحوها من العبادات لا يُشرع للمسلم أن يتركها بحُجَّة اعتزال الناس أو العُزْلة وأيضًا هناك من العبادات ما هو مشروع أو لا يكون إلا في ظل الخلوة والعُزلة مثل ذكر الله عز وجل وقيام الليل والتفكر والتدبر وقد جاء في الصحيح في سبعةٍ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ذكر منهم:((...ورجلٌ ذَكرَ اللَّهَ خاليًا ففاضت عيناهُ.)) ومما يُنَبَّه عليه في هذا المقام أن فُضول المُخالَطة فيه ضَرَرٌ على دين الإنسان وعلى قلبه والمقصود بفضول المخالطة إن الإنسان يُخالِط الناس وهو ليس بمُحْتاجٍ إلى مخالطتهم فيَتَوَسَّع في ذلك تَوَسُّعًا بينًا وهذا مذموم والناس من جهة مخالطتهم على أقسام منهم الغذاء الذي يحتاجه الإنسان ولا قِوام لدينه إلا بهم وهم العارفون بالله والعالمون بدينه وشرعه ومنهم كالدواء يحتاجه الإنسان بقدر وهؤلاء الذين لا تقوم مصالح معاشه إلا بمخالطتهم فيخالطهم بقدر كما أنه يأخذ الدواء بقدر ومنهم الداء الذي يصيب الجسم بالسَّقَم والمرض ويُخرِجه من حالة الاعتدال إلى حال الاعتلال ومنهم الهلاك والسُّم الزُّعاف وهم أهل الشرك والبدع والمعاصي وينبغي للمؤمن في هذا أن يحرِص على ما فيه صلاح قلبه وفي الغالب أن صلاح القلب يكون بترك مخالطة الناس وقد اختلف العلماء في أيّهما أفضل العزلة أم الخُلْطَة؟ فبعضهم يقول العزلة للأحاديث التي جاءت في مدح ذلك كما جاء عند البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئل: أي الناس أفضل؟ قال: ((مُجاهِدٌ بماله ونفسه)) قيل: ثم أي؟ قال: ((رجلٌ يعبد الله في شِعْبٍ من الشِّعاب)) وقيل إن الخلطة أفضل لأنه جاء في الحديث عند أبي داوود وغيره ((الذي يُخالِطُ الناسِ و يَصبِرُ على أذاهُمْ ، خيرٌ من الَّذي لا يُخالِطُ النَّاسَ و لا يَصبرُ على أذاهُمْ)) وقيل بالتفصيل وأن الناس يختلفون بحسب

الأحوال وبحسب الأشخاص فمن الناس من يحتاجه الناس فهو يُعَلِّمُهم ويدعوهم ويُؤَثِّرُ فيهم فهذا الخلطة في حقه أفضل ومن الناس من لا ينتفع الناس بمخالطته لهم بل قد يتضرر هو وتعود عليه الخلطة بالضرر في دينه وعلى قلبه فمثل هذا العزلة في حقه أولى وأفضل الأمور الاعتدال فلابد للإنسان أن يلحظ أهمية الخلوة والعزلة في عبادته لربه وأثرها في الإقبال عليه وأن يلحظ أثر الخلطة في دعوة الناس وتعليمهم ويحذر الإنسان أن يجعل من مخالطة الناس سبيلًا للأُنس فإن المؤمن أُنسُهُ بالله عز وجل وإنما يخالط الناس إذا كان في مخالطته لهم ما لا تقوم مصالح معاشه به أو ليخالطهم لينفعهم فيعلمهم ويرشدهم ويدعوهم إلى الله عز وجل. إذا اتضح هذا الأمر للمسلم فإنه حينئذٍ ينتفع بمخالطة الناس وينتفع بعزلته وخلوته عنهم. ونقف عند هذا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.